

المطابقة في منطقة شبه الظل

يقول (عز وجل) في سورة الطلاق :
 ﴿لَيَنْفَقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلَيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق : ٧].

لا تنتهي العلاقة الزوجية بالضربة القاضية! .. وإلا كان المطلق كما
 يقول الفلاحون الطيبون :

«عدو ، ينتظر نائبة» بمعنى أنه يتربص بغريمه المصائب!



ولكن الإسلام:

ومن خلال هذه الآيات الكريمة .. يشير إلى إن للعلاقة جذوراً ضاربة
 في الأرض .. لا تقتلع هكذا وفي لحظة طارئة ..

ومن أجل ذلك .. لا تكلف المطلقة بالخروج فور كلمة الطلاق غير
 مأسوف عليها: من الظل الظليل .. إلى وهج الظهيرة ..

وإنما تبقى .. وفي بيتها .. مكفولة الرزق .. موفورة الكرامة ..

إعلاماً بأن الأمر ليس شركة تجارية تنفض في لحظة واحدة:

وإنما هي عزة الإنسان .. التي هي فوق انفعالاتنا .. ونزواتنا ..

وعلى كل الأطراف المعنية أن تتوقف .. ثم تراجع نفسها ففعل الله

(تعالى) أن يجعل .. بعد يسر يسرا ..

وإذا توترت الأعصاب يوماً .. بوسوسة الشيطان المريد ..

فلنفسح من بيوتنا وقلوبنا .. لرفاق الأمل .. ففعل الله يحدث بعد

ذلك أمراً.

وتوكيداً لهذا المعنى: أمر المطلّون بالإبقاء على المطلقة في بيتها حتى تنتهي عدتها..

ولكي تظل في البيت مصونة.. يجب عليه أن ينفق عليها.. صيانة لها من التبذل في طلب لقمة العيش.. وفراراً بها من القيل والقال.. لو أنها مشت في الأسواق.. وما يثيره من شبهات.. وتقولات.. قد تسد طريق العودة إلى زوجها.. تارة أخرى.



ومضياً مع حكمة الإسلام في أن: لا ضرر ولا ضرار.. فإن المطلق مأمور بهذا الإنفاق.. على قدر طاقته:
﴿.. مِنْ سَعَتِهِ..﴾:
على قدر إمكانياته المتاحة..

لا تسرق.. لتوفر لها لقمة العيش.. ولا ترهق نفسك بالعبور إلى ما وراء حدود مملكتك المتواضعة.. خارج «سعتك» فليس من الإنصاف أن نريح طرفاً على حساب غيره.. وإذ يحرص الإسلام على الترفق بالمطلق فليس ذلك انحيازاً له. وإنما كل ذلك مقصود به إتاحة فرصة العودة بمثل هذا التيسير الذي يتيح للنفوس فرصة المراجعة.. في جو نظيف.



ثم إن ما تؤمر بإنفاقه ليس مالك.. وإنما أنت حارس.. خازن أمين.. وصاحب المال (سبحانه) هو الذي يأمرك بالإنفاق من ماله (عز وجل)..

ثم هو (عز وجل) لا يأمرك بإلقائه في البحر.. أو تدريته في الجو..

وإنما يتلطف بك لتتفقه على الصاحب بالجنب .. وفاء للعشرة ..



ومما يحملك على الإنفاق والتسامح فيه .. ما تعلمه من وقائع التاريخ
الشاهد بذلك :

(فقد فتح الله عليكم جميع جزيرة العرب .. ثم فارس والروم :
أطحتم بهذه .. وأزلتم تلك ..

ثم فزتم بكنوزها حتى صرتم أغنى الناس ..)
وإذن .. فأنفق ولا تخشى في ذي العرش إقلالا ..
فغدأ تكون السعة .. بعد الضيق .. والغنى بعد الفقر ..
ومن صور السعة والغنى .. أن تعود إليك مطلقتك
أسس ما تكون قيادا .. بعدما أوسعتك بالأمس عنادا .



وإذا كان الإنفاق على من لا تباشرها .. عطاء بلا ثمن .. فإنها فرصة
للتدريب على «السعة» النفسية .. قبل السعة المالية .. فليتسع صدرك ليتقبل
عودتها .. فلعل العود أن يكون حميداً سعيداً .



أما من قُدر عليه رزقه .. فضاق عن تغطية كل احتياجاتها .. فلا
تثريب عليه .. فقد تصرف في حدود استطاعته .. وما فوق ذلك يكون
تكليفاً بما لا يُقدر عليه .



ولاحظ من بلاغة الآية الكريمة :

أن الله (تعالى) - في حال تضيق الرزق - يبني الفعل للمجهول هكذا

﴿وَمَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ...﴾

وفي حال العطاء يقول (عز وجل):

﴿فَلْيَنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ...﴾

إنه التلطف بالعبد وبخاصة في ساعات الضيق:

ففي حال العطاء... يظهر الفاعل...

أما إذا كان الأمر مؤلماً للعبد فإنه (تعالى) لا يواجه عبده الضعيف...

بما يحزنه...

وإذا كان ذلك كذلك... فليعامل المطلق الزوجة باللطف والإحسان...

ليكون عوناً لها على ريب الزمان.



ومن تلطفه بها أن يعيد مراجعة الموقف كله... ليخرج بالتأمل

من الخيال الذي يعيشه... إلى الواقع الذي يرفض أن يعيشه!

وليحاول إقناع نفسه بأنه مسئول معها عن كل ما انتهى إليه نزاعهما...

وأنّ عليه أن يكون زوجاً ناجحاً... قبل أن يطلب من غيره أن يكون

كذلك... وإذا كان يطلب الزوجة المثالية... فهل هو مثالي؟!

ونتذكر هنا واحدة من تجارب غيرنا.

فقد تفرغ وزير العمل في دولة غربية لتربية طفليه بعد نجاح عشر

سنوات في عمله... وثقة رئيسه به... وفضل في النهاية

أن يكون زوجاً ناجحاً... على أن يكون سياسياً لامعاً!



ثم على الزوج إدراك طبيعة المرأة وجوهرها... مما يعين على الوفاق

بعد الفراق. بمزيد من مشاعر الإشفاق:

هذه الطبيعة التي قال فيها (ﷺ):
 «إن النساء خلقن من ضلع أعوج:
 وإن أعوج شيء في الضلع : أعلاه:
 فإن ذهبت تقيمه .. كسرته ..
 وإن تركته .. لم يزل أعوج ..
 فاستمتعوا بهن على عوجهن».



وكما ظفرت بها أولاً .. فاظفر بها اليوم .. وهي بين يديك ..
 وقبل أن يظفر بها غيرك .. بعدما تذهب الفرصة .. ثم لا تعود ..



أما بعد:

فقد زعمتم بعض المستشرقين أن الطلاق «طرد» للزوجة خارج
 البيت .. ولكنه في الحقيقة «إنهاء» لعقد الزوجية . ثم لا يتم إلا بعد
 محاولات ومداولات تستنفد كل وسائل الإصلاح .. فإن لم يكن صلاح ..
 فلا جناح .



الزوجة.. ومبادرة الصلح

يقول الله (عز وجل) في سورة الطلاق:
﴿... وَأَتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ...﴾ [الطلاق: ٧].

بعد أن أرسلت الزوجة إلى زوجها قصيدة أفرغت فيها كل أمانيتها . .
عاد الطير المهاجر . . عاد الزوج إلى بيته . . مستجيباً لنداء الزوجة التي
وصلت رسالتها العاتبة الغاضبة إلى سويداء قلبه: هذا القلب الذي تفجّر
نهرًا . . بعد أن كان من قبل حجرًا!
وقد حدث بعد نشر قصيدتها أو رسالتها أن هبت عاصفة من قبل
بعض النساء اللاتي انحزن لها . .

والحمد لله أن هبوب العاصفة كان . . بعد أن عاد الزوج الزوج فعلاً
إلى البيت . . فلربما كان حدث ما لا تحمد عقباه لو هبت العاصفة قبل أن
يتخذ الزوج قرار العود الحميد . . عناداً وتحدياً . .



ومن تدبير الله (تعالى) أن وقفت الزوجة العاتبة نفسها تشكر الزميلات
المجاملات الغاضبات . . راجية إغلاق ملف القضية . . فقد عادت المياه إلى
مجاريها . وهذا ما قالتها شعراً أيضاً:

فَتَيَّاتٌ مَصْرُ تَحِيَّةٍ أُنْتَنَ رَبَّاتُ الْعَزَائِمِ
إِنِّي أَهْمُنُ بِعُطْفُفِكُن وَشُكْرُكُن عَلَيَّ لَازِمٌ



ثم عزّزت ذلك بقولها:
يا سيداتي الفضليات: لَكُنَّ حق الشكر.. دائم..
قد عاد لي زوجي الكريم.. وجاء يقرع سنّ نادم..
من بعد ما قدّرت أن رجوعه أضغاث حالم..
والحر يرجع.. حين يعلم أنه في الحق آثم



وقلت لصديقي تعليقاً على إعلانها رجوع زوجها.. إنها هي التي
رجعت إليه باستعطافها له.. فكانت صاحبة مبادرة الصلح ولا يضيرها أن
كانت البادئة بالكلام.. فخيرهما الذي يبدأ بالسلام.. فإذا كان المبدوء هو
الزوج.. فأنعم بها مبادرة للسلام.
لقد وضّحت الزوجة هنا أبعاد معنى المودة في قوله (تعالى): ﴿وَجَعَلَ
بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

وعلاقة المودة بين الزوجين تتميز عن غيرها من العلاقات فهي باقية ما
بقي الرجل رجلاً.. وبقيت الأنثى أنثى.. كما يقول العارفون المجربون.
فطالما بقي إحساس الزوجة بأنوثتها وضعفها قائماً.. فإن جسور
التفاهم تظل قائمة على أصولها.. ليعود الصفاء من فوقها إلى قلوب
المختلفين.

أماً لو ترجّلت الأنثى.. متمردة على طبيعتها.. فإن هذا الود سوف
يخرج.. ثم لا يعود.. وكيف يعود في الوقت الذي يركب كل طرف رأسه
زاعماً أن الكل سواء.. ومما يחדش الكرامة أن تبدأ أحباءنا بالكلام!



إن هذا الود قد «جعلهُ» الله (تعالى).. وما جعله (سبحانه) لا يغيب.

وقد تسألني: لكنه قد يذهب بالطلاق؟
وأقول لك:

إنه لم يذهب بالطلاق. لأن الطلاق هو الضربة الأخيرة التي سقط بها
القصر المُنيف.. ولكن الشرابات قبلها مسئولة عنانهيار البنيان الشاهق من
علي.

ومن هذه الضربات السابقة تجاوزات الزوجين على مدار الأيام: والتي
تراكمت حتى صارت من «قشٍّ وطين» ثم صارت عبرة للمعتبرين!
إن «الود» رزق من الله. وعطاء غير مجذوذ.

وإذا كان رزقنا المادي حاضراً مصوئاً.. وفي السماء.. حتى «ندب»
لنصل بالديب إليه.. فكذلك «الود».. وهو رزقنا المعنوي.. حاضراً..
مصوناً.. لكننا نتصرف مصرين أن نمضي بتجاوزاتنا عكس الاتجاه؟!
فكيف نحصل على مودتنا.. على رزقنا.. ونحن بالعناد نسحب
رصيدنا منه وبلا إبداعات جديدة تنميه وتزكيه؟^(١).



لقد أحسَّت الزوجة الشاعرة أن رفيقها الغاضب.. قد أخذته العزة
بالإثم.. والحكمة تقول: إذا عز أخوك.. فهن..
واستعطاف الزوجة ليس هواناً..

فقد يكون وليد دراسة ميدانية.. ظهر با أن الزوج يُفَضِّل الأوهام
تناوشه.. على الواقع المُعاش فعلاً.. فقررت ألا يفلت الصيد من بين

(١) قد لا تكون «فصيلة الدم» متوافقة مع سلامتها في ذاتها.. فالدم صالح.. فالود
موجود.. لكن «الفصيلة» في الإثنين سالبة.. أو موجبة.. ومن الإبقاء على الود أن
يتفرقا ليغني الله كلا من سعته بمن يشاكره!

يديها . . فصبت كل أشجانها على الورق شعراً . . ردهً سالمًا من سكرة الأوهام . .

وقد يسعفها الواقع الماثل بما يفرض عليها أن تبدأ بالكلام :
لقد يكون «عجوزًا» إلا أنه مغرم بالفتاة الصغيرة زاعمًا أنه بها ومعها
يسترجع شبابه الغارب . . وهكذا . . كلما «هرمت الأسنان» تطلب الأمر
صغار الحملان!!



ولقد أدركت عوج الحاضر وخطورة المستقبل حيث النار تندلع . . والماء
ينقطع . ثم راجعت نفسها التي وجدتتها :
دجاج : - مع الفارق طبعًا -

وللدجاجة جناحان . . ولكنها لا تستطيع الطيران إلا في مجال الأسرة
الجوي ! . . وتحت سقف البيت . . وفي ظل رجل تطارحه الهوى . هو زوجها
الحلال .

وإذن . . فالشجاعة الأدبية تفرض عليها أن تفعل ما تظنه الزميلات
خطأ . . وكانت بمبادرة الصلح مبرأة من الملام . . مُرشحة بوقائنها المتصنع
الوثام بديلاً للخصام .

لقد كانت كما قالوا الأدباء :
(لا أحد يحاسب صحراء العطش . إذا توحّمت على قطرة من الماء . .
ولا أحد يحاسب جائعًا . . يحلم بسوق الخبز) .
لا أحد يحاسب زوجة سوية ذكية تفرد شراعتها في الاتجاه الصحيح . .
غير وصغية إلى غضب الغاضبين العازلين . .

فمن كانت يده في النار . . ليس كمن كانت يده في الماء!

والأطفال: لمبتهجون اليوم: هم أطفالها هي ..
والزوج العائد العائد هو زوجها هي ..
والنار لا تحرق إلا من أمسك بها ..
وقد أحرقتها هي وحدها .. نارُ العزلة والاعتراب .. فقررت بالعفو أن
تضع حدًا لهذا العذاب.



حديث.. مع الشباب

في تحقيق صحفي تقول إحدى الباحثات:

(إن صلة الرجل الفرد بعدد من النساء من الأمور التي تبت فيها الأحوال الإجتماعية.. فالنسبة - في رأي فضيلة الشيخ الغزالي - بين عدد الرجال والنساء.. إما أن تكون متساوية.. وإما أن تكون راجحة في إحدى الناحيتين.. فإن كانت متساوية.. أو كان عدد النساء أقل.. فإن تعدد الزوجات لابد أن يختفي من تلقاء نفسه. وستفرض الطبيعة - ساعتها - توزيعها العادل قسراً!

أما إذا كان عدد النساء أربى من عدد الرجال.. فسنكون إزاء واحدة من ثلاث:

- ١ - إما أن نقضي على بعضهن بالحرمان حتى الموت!
- ٢ - وإما أن نبيح اتخاذ الخليلات، ونقرّ جريمة «الزنا»!
- ٣ - وإما أن نسمح بتعدد الزوجات. ولأن المرأة - قبل الرجل - فيما يرى الشيخ الغزالي - تأبى حياة الحرمان، وترفض فراش الجريمة والعصيان.. فلم يبق أمامها إلا أن تشرك غيرها في رجل يحتضنها.. وينسب إليه أبناءها.. ولا مناص بعدئذ من الاعتراف بمبدأ «التعدد» الذي صرح به الإسلام شريطة أن يتحقق العدل.. فإن لم يتحقق العدل.. فلا تعدد هناك.



قلت ذلك للفتى المتحمس.. والذي وقف - يرضي غروره - زاعماً أن التعدد هو الأصل..

ولما كان من المحبين للشيخ الغزالي.. فقد حاولت إفحامه بوجهة نظر

الشيخ الغزالي تلك!

وإذا كان هناك من يرفض التعدد منساقاً وراء هواه، فقد نجد أنفسنا أمام: تفريط.. أو إفراط.. يتقاضيانا الاقتراب من الآية الكريمة.. مستنيرين بما قرره المجربون.. فلعل ذلك مما يحسم القضية أو يكاد:
يقول الله (عز وجل): ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُواهَا كَالْمِغْلَقَةِ﴾ [النساء: ١٢٩]



والآية الكريمة تخاطب الناس جميعاً.. والأزواج منهم بخاصة.. وتشمل شمولاً أولياً منهم:

أولئك الراغبين في التعدد.. حتى يراجعوا حساباتهم.. التي قد تنتهي بهم إلى صرف النظر عن فكرة «التعدد» إيماناً منهم بأن أحداً لن يجد الراحة عند أحد.. وإنما الراحة هناك عند نفسك الراضية.. وقلبك الواسع.. ونقترب مرة أخرى من الآية الكريمة متأملين مسترشدين بما قاله الثقات من العارفين: يقول (عز وجل): ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩].



الآية الكريمة تدل على اهتمام الإسلام بالواقع.. لا واصفاً.. وإنما كاشفاً عن الأسباب.. ثم محاولة علاج الانحرافات.. أما نحن اليوم: فنحن فقط نجبر الصفحات عن التعدد وأسبابه.. دون أن نقدم العلاج.. إننا فقط منساقون وراء أهوائنا التي استعبدتنا حين أبعدتنا عن الفهم المصحح.



يقول المغرضون:

- ١- أباح الإسلام التعدد
- ٢- ثم اشترط فيه العدل .
- ٣- ثم حكم بأنه غير مستطاع؟! ولكن الصحيح أن يقال:
المطلوب هو: العدل المستطاع وهو:
المساواة في الحقوق والواجبات . .
أما عدل القلوب . . فغير مستطاع .



من آثار التعدد:

إذا كانت الطبيعة من حولنا تنطق بلسان الحال:
إن الورقة تسقط . . وتبقى الشجرة . . لتجدد شبابها في ربيع قابل . .
إذا كان هذا هو منطق الطبيعة . . فإنه وفي العلاقات الإنسانية . . يكون
الأمر بالعكس:
فبعض الأزواج يرغب في تجديد الفراش منطلقاً من رجولة متسلطة . .
أو من فحولة جائرة: يقول:
(إن الحياة قد كلفت الذكر بأن يمد الحياة . . ولذلك جاء قوياً . . أكبر
حجماً . . أقدر على المطاردة . . والمنافسة والمواجهة).



ففي عالم الأسماك:

نجد الذكر هو الأكثر حركة . . والأكثر انطلاقاً . . وهو الذي يتضخم
طولاً وعرضاً . . ويطلق أصواتاً وألواناً . . تلفت نظر الأنثى .

جوهر المشكلة:

المشكلة في التعدد أن الزوجة الثانية قد تكون هي «الحماة» . . أي :
زوجة الأب .

وإذا كانت الحماة «الأم» لها غضبتها على من سرقت منها ابنها . .
متجاهلة من أخذته بعض الوقت . . لتنجب لها أحفاداً يسعدونها «كل»
الوقت . . إذا كان الأمر كذلك . . فكم تكون غيرة . . زوجة الأب . . ممن
ينتمي إليها بسبب . . بل ويشارك ولدها من تراثها ثروة زوجها؟! !!



وما زلت أذكر ذلك الزميل الذواق . . والذي تزوج الثانية ثم أراد أن
يعود إلى زوجته القديمة الأولى فاشتطت عليه أن يتزوج ثالثة - !! - ليغيظ
بها من أغاظتها . . وهي الزوجة الثانية . .
وعاد الزوج كزورق محطوم الشراع . . يترنح . . ولا يدري ماذا
يفعل!!



ومع أن «زوجة الأب» شخصية غير مرغوب فيها غالباً . . إلا أن
الإسلام يحترمها . . بل ويكرمها حين جعلها فرعاً في شجرة الأسرة . . بل
كانت أمّاً . . كالأم التي ولدت . . وذلك بتحريم الزواج منها . . وذلك قوله
(تعالى): ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا
وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢] .



أما بعد:

فما زلت أذكر تلك الزوجة «الفلاحه» والتي سألتها الباحثة الاجتماعية:

كم ساعة تعملين «مع» زوجك..

فكان ردها الحكيم هو:

أنا لا أعمل معه..

وإنما أنا أساعده..

فألعمل معقود بناصيته.. وإنما فقط أنا عبد المعين!!

وهكذا وبعد عشرات من السنين.. تتنامى مشاعر الود بين رفيقين..

ولا تقاس علاقتهما بمقياس الحساب.. وإنما بالود الجامع.. فوق كل حساب؟



بعد الزواج:

تعيينُ قائد للأسرة

أ - يُرجع إليه عند الاختلاف.

ب - ويُستأنس برأيه عند الوفاق.

مرشحات القيم:

أ - مرشح فطري ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

ب - مرشح كسبي: ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا﴾ فهو قادر على مخالطة الناس. ثم

الكسب وما يتطلبه من معاناة.



وتبقى الزوجة: مستودع الحنان..

لأنه : بلا حنان .. فلا إنسان !!
ولأجل الحنان .. والمعاناة تستنزف طاقتها .. فلا يبقى لها بالٌ ولا طاقةٌ
لإدارة البيت .

فالقيادة للرجل .. وهذه القيادة :

تكليف .. لا تشريف

عطاء .. لا أخذ

رعاية .. لا غنيمة

ومسئولية .. لا تسلط



رحلة في قلب مطلقة

يقولون: القاتل مجاهد.. والمقتول شهيد.
 بمعنى: أحياناً يفعل الزوج أكمل ما يليق به كزوج:
 يعفو... ويصفح... ثم يغفر...
 وقد يطول نفسه في تطويع الزوجة...
 وإذن... فهو مجاهد..

•••

والزوجة: قد تفعل ما تلام عليه... لكن قصدها شريف... فهي
 شهيدة!

وقد يتعذر الوفاق... وإذن. فلا مفر من الطلاق!
 فماذا يحدث بعد ذلك؟
 لنستمع إلى الأدب يصور بريشته الساحرة تلك الزوجة في بيتها الذي
 تعتد فيه:

فيم تفكر؟ وكيف؟
 والزوج أيضاً... ما هو إلا حاله... وما مآله؟
 هذا ما خطته ريشة الأديب الأريب:
 قال:

كان البيت بالأمس مستقرها... فصار اليوم قبرها!
 كيف:

زوجها غير واثق بها..

وكانت سيدة البيت . .

•••

تناوش زوجها الظنون . . إنها لو اعتدت في بيته . .

لسوف تهرب بمتاع البيت !

ثم تفر إلى بيت أمها :

تعود ضيفة عزيزة . . مثل أيام زمان ؟ . . لا :

فالضيف مدته محدودة . . ثلاثة أيام . . أما هذه فلم يعد لها بيت . .

•••

وتخدم مرغمة . . تخدم من ؟

أمها . أو زوجة أبيها . أو أخاها .

•••

وبين الحين والآخر تهب عليها عواصف من الأفكار :

كيف حال أولادها الآن ؟

ماذا يأكلون ؟

وكيف ينامون ؟ . . ومن الذي يغطيهم عندما ينكشفون ؟ !

هل أذهب إلى المحكمة لأحتضنهم ؟

فإذا عادوا إليها . . فلن تكون سعيدة :

ذلك بأن أولادها : ليسوا أيتاماً . . فيرحموا . .

ولا ذوي أب . . فيكفوا .

بداية النهاية :

وتحت وطأة هذه الأفكار المحرقة للأعصاب

تبدأ مرحلة من التفكير الواقعي . . العملي . . هكذا :

هل ما أنا فيه من العذاب . . خير . . أم الرجعى
 إلى زوجي ولو كان مشاكساً؟!
 هل كان لا بد من الطلاق؟!
 هل كان ضرورة تفرض نفسها . .
 ألم يكن العلاج ممكناً؟
 وبأسلوب آخر غير الطلاق؟
 أليست شريكة الزوج في المسئولية عما حدث من خلل؟
 لقد صار ما فرّت منه بالأمس . . لقد صارت
 ادعاءاتها . . قابلة للنقاش اليوم . . بعدما
 ذقت من عذاب الوحدة .



ها هي ذي تتحمل مسئوليتها مع أطفالها:
 وحيدة . كاسفة البال . تتعلم من التجارب . .
 ما لم تكن تعلم . . مدركة حقيقة ما فعلت
 بصغارها الذين حرّموا من أبيهم . .



وقد تستوعب الدرس . . في محاولة لإدراك
 حجم ما ارتكبه من أخطاء . . واصلة
 إلى رغبة أكيدة في عود حميد إلى
 عُنْصُرِ المهجور . .



ولكنها لا تملك تحقيق أملها:

لأن الزمن لا يمضي في صالحها:
فلقد صار ما فرّت إليه اليوم .. أسوأ من الطلاق ..
نفسه ..



ثم .. أليس من الجائز أن يتزوج بأخرى .. وعندئذ
ستخسر فرص التفاهم والعودة إلى العش القديم ..
بعد وجود هذا الغريم!
والوسواس الخناس موجود لدى الزوج:
وهو .. كما يعد الإنسان بالفقر .. يعده بزوجة ثانية
تكون أجمل .. وأكمل؟
إنه الشيطان المسئول الأكبر عما أنا فيه ..



لقد كان الامتحان صعباً ..
وذلك عندما يواجه الإنسان نفسه .. والشيطان:
وإذا كيانه يذهب حشرات .. بين شقي الرحن:
نفسه: التي تقوده إلى العصيان ..
وشيطانه: الذي يحضه عليه!!
رب يوم بكيت منه فلما
صرت في غيره بكيت عليه

هل يمكن أن تعود المياه إلى مجاريها؟
إن القرآن الكريم يقول: نعم.

نعم الله يحدث بعد ذلك أمراً [الطلاق: ١].

وقد حدث ذلك الأمر فعلاً.. في حياة ناس أعرفهم..
لقد عادت المطلقة إلى زوجها الأول..
عادت أكثر اشتياقاً..
وأشدَّ إشفاقاً.. لو أنه رفض..



والزوج يشرب من نفس الكأس
والزوج هناك.. تركض في خياله أفكار من نفس النوع..
ويستيقظ قلبه على الذكريات الجميلة..
التي تزدحم في وعيه اليوم..
ثم هذه المتاعب التي تأتيه من قبل الأولاد:
الولد الكبير: يسأل عن أمه..
فيعجّر الصغير الذي يتمرّد.. فيسأل أيضاً عن أمه..
والحل؟.. الحل أن تعود المياه إلى مجاريها
وهذا ما فعله الإسلام:
الإسلام الذي سهّل أمر الرجعة
أ - بلا شهود.
ب - بلا ولي.
ج - وبدون رضا الزوجة
ويكفي راجعت زوجتي
هكذا بكلمة واحدة.. يعود الصفاء.. والوداد..
ويسعد الأولاد.

مغزى هذا التيسير

إنه دليل على أن الإسلام يحب الوفاق ويبغض الطلاق ..
إنه لا يكرهه فقط .. وإنما يُبغضه .. وإن كان حلالاً!



فإذا عادا .. فلا شك أنهما استفادا فوائد تحملهم على الحذر بَعْدُ . ثم
الحرص على استدامة العلاقة .. فراراً من أن تعود أيام الهوان الذي كان .
إن المستول عن الطلاق هو التَّسَرُّع .. وليس الإسلام
إن المطلق مريض :
أعطاه الطبيب .. أعطاه الإسلام .. أعطاه دواء . ليستعمله على
فترات ..
فماذا فعل ؟



ألا إن خير الطرفين هو من بدأ بمبادرة الصلح :
وإذا كان البادئ بالتحية عبر الطريق خير الطرفين ..
فكيف بمن يبدأ الكلام بلا ملام مبادرة منه : تجمع الشمل . ونحمي
الذرية .. وتصون المجتمع ..
وخيركم خيركم لأهله .



نهاية المطاف

بعد هذه التأمّلات في سورة الطلاق .. تبقى لنا كلمات
لأن الطلاق [أبغض الحلال] إلى الله (تعالى):
فقد وضعت الشريعة - طبق خطتها - إزاء كل بغيض - وضعت ما يمنع
وقوعه :

- أ - قبل الزواج ..
- ب - وأثناء الزواج ..
- ج - وعندما تهب العاصفة ..
- أما قبل الزواج:
- فمن الضروري: معرفة الطرف الآخر بعمق .. حتى لا نفاجأ بما
نكره ..
- ذلك بأن (بعض الناس يفاجأ بهذا الذي يكره .. لأنه لم ير الأشياء
على حقيقتها .. واكتفى بقراءة العنوان).



- وهناك أمور أساسية
لا بد من توفرها
- ١ - الالتقاء على مبدأ .. وخير المبادئ الدين ..
وفي ظله يمكن التعايش .
 - ٢ - الميل القلبي .. فراراً من النفور المانع من التكيف .
وهذا بعض ما يفهم من قوله (ﷺ) لرجل :

«أنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما».

ومعروف أن المرأة قد تكون جميلة.. ومحطّ الأنظار.. ولكن قد لا يروق الرجل منها شيءٌ ينفر منه بطبعه.. وقد يكون في نفس الوقت مميّزةً عند غيره.

٣ - ضرورة سؤال الآخرين..

وعلى المستؤل أن يذكر العيوب التي يراها مقتصدًا.. بعيداً عن التشهير.. وعلى قدر الحاجة.

٤ - وللخاطبة^(١) دورها الذي لا يتيسر للرجال:

أ - تشم معاطفها.. تأكدًا من رائحتها.

ب - ثم ترى كعبها.. فقد تكون نحيفة..

ج - السؤال عن أخواتها..

د - وللبنت رأي وللثيب رأي..

ولا نكاح إلا بولي

٥ - فإذا عزم الأمر كان لا بد من:

أ - طائفة من الأمة.. وعلى الأقل شاهدان.

ب - الوليمة وإعلان الزواج..

ولماذا الشهود.. ولماذا الإعلان؟

والجواب:

(١) روي أنس (رضي الله عنه) قال:

قال رسول الله (ﷺ): وأم سليم تنظر إلى امرأة. فقال: «شمي عوارضها».

(الأسنان التي في عرض الفم) وهي: ما بين الشنايا والأضراس. واحدها: عارض.

الالتزام أمام الجمهور بتحمل مسؤولية هذا الميثاق الغليظ .
الذي يفرض علينا العمل على استقراره واستمراره . .
وإذن :

فإعفاؤها من القيادة ليس إهمالاً .
وإنما هو :

تقدير لظروفها :

رحمة بها

ووضعاً للأمور في نصابها

•••

وبذلك حسم الإسلام القضية : فلا خوف ولا نزاع .
لا سيما . . وتوجيهات الإسلام تزامن الزوج ضبطاً لخطواته . .
مسئوليات القائد
إنك راع . . ومسئول . .
اصبر عليها . .

لأن فطرتها تختلف عن فطرتك .
فلا تحملها بالعنف على ما تريد .
ولا تتوقع منها ما تريد .
ولا تتصورها كاملة . .

فالعقل لا يرضى عن صفاته هو شخصياً . .
وإن رَضِيَ فهو مغرور مأزور !!
وسوف يصدمه الواقع بما لم يكن يتوقع . .
وبما لم يكن يعلم .

الإسلام يقف.. إلى جانب.. أضعف الطرفين

هذا الإسلام الذي يقول للزوج:

اصبر عليها وعالج الأمر بحكمة..

أ. لأنهن خلقن من ضلع أعوج..

ب. لا يفرك مؤمن مؤمنة..

ج. خيركم خيركم لأهله..



قارن بين ما يعجبك.. وما لا يعجبك..

ثم تغاض عما لا يعجبك.. من أجل ما يعجبك!

لماذا؟ ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُ السَّيِّئَاتِ﴾

طامن من غرورك.. فلا تظن أنك الحاكم الأوحد.



وما زلت أذكر ذلك الزميل الذواقة.. والذي تزوج الثانية ثم أراد أن

يعود إلى زوجته القديمة الأولى فاشتربت عليه أن يتزوج ثالثة - !! - ليغيظ

بها من أغاظتها.. وهي الزوجة الثانية..

وعاد الزوج كزورق محطوم الشراع.. يترنح.. ولا يدري ماذا

يفعل!!]

وقد يضحك الزوج العيوب.. ويضائل من المزايا.. إلى الحد الذي يعزُّ

فيه الوفاق. وإذن فلا بد من الطلاق بعد ما ذهب السكن.. وذهبت المودة

والرحمة وهنا يقول له الإسلام قبل أن ينطق بكلمة الطلاق استمسكاً بالأمل حتى آخر لحظة:

إن أهداف الزواج متعددة:

فإذا لم يكن حب:

فما كل البيوت بنيت على الحب ..

وإنما يبكي على الحب على النساء ..

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ..﴾ [النساء: ١٩]

﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:

١٩].

والخير متعدد:

١ - الولد الصالح

٢ - جمع الشمل وحماية الذرية.

٣ - ووعد الله بالإصلاح لا بد أن يتحقق يوماً.

ثم ينصحه الإسلام بتفقد أحواله معها: فقد يكون هو

المخطئ .. فليصلح ما أفسد العطار .. أو مع الله .. فتب إليه.

وقد يكون هناك حاسد أو حاقد .. ينفث في العقد فلتكن أنت

وهي .. عليه .. فهو عدوكما المشترك فلا تحققاً بالفراق أعز أمانيه.

•••

زواج المحلل:

ولد ميتاً:

١ - فالناس يستوصون بكتمانه.

٢ - ليس فيه أهداف الزواج ..

٣ - ولكن جاء لشيء لم يذكره الحديث الشريف: «تنكح المرأة لأربع...».

٤ - وهدفه الوحيد هو:

الرجوع للزوج الأول!!

•••

المطلقة قبل الدخول

لا عدة عليها:

أما المتوفى عنها زوجها.. فعليها أن تعتد

لماذا؟

في الصورة الأولى:

عداء.. ومغايلة.. وقد يتزوج وتراه هي.. فتحترق..

فلتتزوج ومن الآن!

أما حال الموت:

١ - فهو نوع من الوفاء.. كالحداد.

٢ - ثم إنها سترته.

٣ - ومعنى المغايلة غير موجود كالصورة الأولى.

•••

استطرد:

تحد الزوجة على زوجها المتوفى أربعة أشهر وعشرا.. وفاء..

أما على قريبها المتوفى فثلاثة أيام فقط.. لأن لها زوجاً له حقوق في

عنقها.. وهذه الحقوق أكد من غيرها.

•••

من ملقات الحرب الباردة!

أخرج «أبو داود» في سننه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن فاطمة بنت قيس (رضي الله عنها):

أن أبا عمرو بن حفص . . طلقها البتة وهو غائب:
فأرسل إليها وكيله بشعير . فسخطته . فقال:
والله مالك علينا من شيء .

فجاءت رسول الله (ﷺ) . فذكرت ذلك له . فقال لها: «ليس لك عليه نفقة» .

فأمرها أن تعتد في بيت «أم شريك» . . ثم قال:
«تلك امرأة يغشاها أصحابي» .

اعتدي في بيت «ابن أم مكتوم»: فإنه رجل أعمى:
تضعين ثيابك . . فإذا حللت . . فأذنيني»

قالت:

فلما حللت . . ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني .

فقال:

«أما أبو جهم: فلا يضع عصاه عن عاتقه . .

وأما معاوية: فصعلوك: لا مال له . .

انكحي أسامة بن زيد» . قالت: فكرهته . . ثم قال «انكحي أسامة بن

زيد» فنكحته . .

فجعل الله فيه خيراً اغتبطت به) .

تمهيد:

ونقصد «بالحرب الباردة» هنا ما يدور بين الزوجين من اختلاف .. بعدما كان بينهما من الائتلاف:

لقد كان طائر الود محلقًا في جو السماء .. وكان البيت ذلك النبع
الرائق الدافق ..

وبعد ذلك .. هبط الطائر المحلق .. وجف النبع بعد ما كان عذبًا
فرائًا ..

(كان الزوج ذلك الملاح الذي كان يقول لزوجته:

أنا ذلك البحّار: أنفق عمره

في البحث عن حب ، وعن أحباب
حتى رأيتك قطعة من جوهر

ترتاح بين النخل والأعنان

•••

وترتفع حرارة العواطف في قلب من عاش كل صور الحسن:

لكن حسنك لم يكن بحسابي

ماذا سأكتب عنك في كتب الهوى

فهواك لا يكفيه ألف كتاب؟!!

ويزيد في وفاق الزوجين .. ذلك البيت الهادئ الوادع .. العامر بمثل
هذه المناجاة التي تجعل منه مملكة جامعة مانع ..

وها هو ذا .. يترنح تحت ضربات الأحداث .. لقد كان البيت ولا

يزال لوناً من الأمومة منذ التجأ إليه الإنسان ليحتمي به من العواصف والخلاء.. ثم رآه يدفع عنه عوارض الطبيعة. ويدفع عنه البرد والحر فتعلق، به، أكثر.

البيت هو الحمى.. هو زغب الطائر).

كتب الرسام «فيلكفيلد» عندما كان يعيش حياة هادئة في الريف. (السعادة التي أشعر بها وأنا جالس أمام النار، بينما تهدر العاصفة غاضبة في الخارج، هي هناء حيوانية خالصة.. فالفأر في جحره، والأرنب في وجاره، والأبقار في الحظائر، تشعر دون شك بالرضا ذاته الذي أشعر به).

ولكن إذا تجاوزنا - هذا اللون (الساذج) من السعادة - التي يتحدث عنها «فيلكفيلد» في لحظة دفء أقول:

إن البيت ذاتية.. إنه خاص بصاحبه وحده.. ومسرح لذوقه وأفكاره. والبيت سيادة فهو ملك لصاحبه وحده، يفعل، به، وفيه، ما يشاء.. وهو حرم له لا يقتحمه آخر عليه، إلا بإذنه في عصور الأمان.. وجاءت الأديان فسأكدت هنا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا...﴾ [النور: ٢٧].

والآية الكريمة ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا...﴾ [البقرة: ١٨٩].

البيت حرم.. وحبيب مهما صغر أو تواضع: إنه كالأم إنها أعز إنسان كما هي، لا تقارن بغيرها.



أجل.. كان البيت هذا مرتعاً مُمَرَّعاً..

وإذا بالشیطان المرید: من الجن والإنس يضرب ضربته القاضية..

وإذا بالزوجة وفي ساعة العسرة يتغير في ناظرها كل شيء فصارت
غريبة في وطنها؟! الذي صار في حشها بلاداً بعيدة:
(يا بلادي البعيدة: حيث تبكي السماء..
حيث لا يقرأ الناس إلا جريدة!).



يا بلادي التي لست فيها.. يا بلادي الوحيدة..
أيها الرمل والنخل والجدول.. أيها الكوخ والسنبل..
يا بلادي التي لست فيها.. يا بلادي الطريدة..
ليس لي منك إلا شراع المسافر..
راية مزقتها الخناجر.. والنجوم الشريدة..]



إنها تندب حظها العاثر. إن الناس من حولها يتعاملون بالجفاء..
لكن وفاءها كان هو الوفاء..
(لقد كانت هيئة لينة:
تعين أهلها على العيش.. ولا تعين العيش على أهلها).



وقد يهون الخطب في حس الزوجة التي تستعد للرحيل..
ولكن الذي لا يهون هو: شماتة الأعداء:

أمرُ على ناس فأسمع شامتًا
يمزق في عرضي.. وآخر يشفع
وقد ساء ظني في العباد جميعهم
فأجمعت أمري في العداء.. وأجمعوا

وعندئذ يتفاقم الموقف .. وإذا بالأمر على ما يقول الشاعر:

أرى تحت الرماد وميض نار ويوشك أن يكون له ضرام!



هكذا تقول تجربتنا اليومية ، بما فيها من وفاق وشقاق ..

ولكن «فاطمة بنت قيس» ترينا اليوم من نفسها كرامة وعزة .. ترفض شهوة الانتقام .. على رغم أن زوجها «بتّها» قطعها: أخرجها من حياته .. وفي غربته .. ولم ينتظر حتى يعود فلعله أن يمسك .. فلا يطلق .. ولقد كان من حكمتها تجنب المهاترة والمكاثرة ..

وبدل أن تبدد أعصابها فيما لا يجدي .. أخذت الخطوة العملية .. في الاتجاه الصحيح .. فطالبت بحقها .. منطلقة من قاعدة تقول:
أحياناً .. لا يكفي الحب وحده بين الزوجين .. فلا بد من أن يبحر كل طرف في أعماق الآخر ليستوعب ما فيها من أسرار نحاول التكيف معها .. ثم لنفصل حياتنا على قدها ..

